جامعة محمد خيضر بسكرة
كلية اللغات والآداب
قسم الآداب واللغة العربية
سنة أولى ليسانس مجموعة ـ ب ـ

مقياس : علوم القرآن
د.مزاري زينب

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على رسول الله

المحاضرة الأولى: تعريفات

سوف نتناول في المحاضرة الأولى مجموعة من التعريفات ، وهي مرتبة كالآتي :
1- أهمية القرآن وعلومه في الدراسات اللغوية والأدبية: 2ـ تعريف القرآن.3 ـ تعريف الوحي. 4 ـ تعريف النبي 5 ـ تعريف المعجزة.

1ـ أهمية القرآن وعلومه في الدراسات اللغوية والأدبية:

لقد كان العرب قبل الإسلام أميين ؛ لا يقرأون ولا يكتبون . فلما جاء الإسلام ونزل القرآن ، وكانت أول آية منه تأمر بالقراءة :﴿اقرأ باسم ربك ﴾تغيرت حال العرب وانكبوا على القرآن يقرأونه ويحفظونه ويكتبونه .فثارت العلوم وكثر العلماء . وكان أول ما ظهر من علوم اللغة ،البحث في معاني الألفاظ ،لأنه خفي المعنى عند كبار الصحابة ومن ذلك : أن عمر ابن الحطاب رضي الله عنه قال على المنبر: ما تقولون في قوله تعالى ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ﴾ (النحل 16) فسكتوا، فقال شيخ من هذيل: هذه لغتنا، التخوف: التنقص، وأنشد البيت لأبي كبير الهذلي :

تَخَوَّفَ الرَّحْلُ مِنْهَا تَامِكاً قَرِداً ... كَمَا تَخَوَّفَ عُودَ النِّبْعة السَّفَنُ

فقال عمر: "عليكم بديوانكم لا تضلوا. قالوا: وما ديواننا؟ قال: شعر الجاهلية، فإن فيه تفسير كتابكم".

فلما كان كلام العرب مصدرا من مصادر تفسير كلام الله ، توجه اهتمام المشتغلين بالقرآن إلى بوادي العرب يجمعون العربية من الأفواه لتدوينها ، وبدأت تظهر الكتب المؤلفة عندهم . فما من علم برع فيه العرب إلا ونواته القرآن .

وكان من أول ما ألف في العربية ، كتاب غريب القرآن وهو كتاب تتبع فيه ابن عباس الألفاظ التي غمض معناها عن القرشيين لأنها ليست في لغتهم ،فبينها ابن عباس وشرح معناها واستشهد لها بالشعر .وأصبح بعد ذلك الاستشهاد بالشعر علما يتنافس فيه علماء العربية ؛ أيهم أجمع له وأحفظ . وكان شيخ رواة العربية أبو عمرو بن العلاء شيخ الخليل بن أحمد الفراهيدي .

وما أحسن ما رواه الإمام السيوطي رحمه الله تعالى في كتابه الإتقان عن بعضهم حيث يقول: اعتنى قوم بضبط لغات القرآن وتحرير كلماته ومعرفة مخارج حروفه وعددها، وعدد كلماته وآياته وسوره وأحزابه وأنصافه وأرباعه، وعدد سجداته والتعليم عند كل عشر آيات إلى غير ذلك من حصر الكلمات المتشابهة والآيات المتماثلة، من غير تعرض لمعانيه ولا تدبر لما أودع فيه فسمو القراء - واعتني النحاة بالمعرب منه والمبنى من الأسماء والأفعال والحروف العاملة وغيرها، وأوسعوا الكلام في الأسماء وتوابعها وضروب الأفعال واللازم والمعتدى ورسوم خط الكلمات وجميع ما يتعلق به حتى إن بعضهم أعرب مشكله وبعضهم أعربه كلمة كلمة ...- وتأملت طائفة منهم معاني خطابه فرأت منها ما يقتضى العموم ومنها ما يقتضى الخصوص إلى غير ذلك فاستنبطوا منه أحكام اللغة من الحقيقة والمجاز... ونظر الكتاب والشعراء إلى ما فيه من جزالة اللفظ وبديع النظم وحسن السياق والمبادئ والمقاطع والمخالص والتلوين في الخطاب والإطناب والإيجاز وغير ذلك فاستنبطوا منه المعاني والبيان والبديع . وتتابعت العلوم وتزاحمت فظهرت الكتب الموسوعية الشاملة كالتفاسير وظهرت الكتب المتخصصة في مجالها ككتب النحو . وإنه لا يخلو علم من العلوم التي تبحر فيها علماء القرآن والعربية إلا والقرآن و كلام العرب متلازمان لا ينفك هذا من ذاك .

2ـ تعريف القرآن :

لغة: لقد ذهب العلماء في لفظ (القرآن) مذاهب، فهو عند بعضهم غير مشتق، وغير مهموز، وعند بعضهم مشتق ومهموز، فممن رأى أنه بغير همز:

الشافعي قال : "إن لفظ القرآن المعرف ب (ال) ليس مشتقا ولا مهموزا، بل ارتجل ووضع علما على الكلام المنزل على النبي محمد ﷺ"، ف (القرآن) عند الشافعي لم يؤخذ من قرأت، ولو أخذ من قرأت لكان كل ما قرئ قرآنا، ولكنه مثل التوراة والإنجيل.

وممن رأى أن لفظ (القرآن) مهموز: الزجاج، واللحياني ، وآخرون.

ويقول اللحياني: إنه مصدر مهموز بوزن الغفران، مشتق من قرأ بمعنى تلا، سمي به المقروء تسمية للمفعول بالمصدر .

وقال الزرقاني: (أما لفظ القرآن: فهو في اللغة مصدر مرادف للقراءة. وقد جاء استعمال القرآن بهذا المعنى المصدري في قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذا قَرَأْناهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ (سورة القيامة 17-18)، فلفظ قرآن مهموز، وإذا حذف همزه فإنما ذلك للتخفيف.

المعنى اللغوي والاشتقاقي لكلمتي "قرآن" ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾. و قال تعالى:" شهر رمضان الذي أُنزِل فيها القرآن"(سورة البقرة:185), والآية "إنه لقرآن كريم"(سورة الواقعة:77).

يقول الزجاج: إن لفظ (القرآن) مهموز على وزن فعلان، مشتق من القرء بمعنى الجمع، ومنه قرأ الماء في الحوض إذا جمعه، لأنه جمع ثمرات الكتب السابقة . وسُمي القرآن به لاجتماع الحروف والكلمات, ولأنه مُجتمَع الأحكام والحقائق والمعاني والحكم؛ لأن من معاني(قرأ) جمع

تعريف القرآن اصطلاحا:

يقول محمد دراز في تعريف القرآن الكريم: (هو ما بين هاتين الدفتين) ويشير إلى القرآن، أو نقول: هو (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ ..... إلى قوله: مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ)

والقرآن في التعريف الصطلاحي هو : " كلام الله ، المنزل على النبيّ ﷺ،بواسطة جبريل ، المنقول عنه بالتواتر، المتعبد بتلاوته المعجز بلفظه ،المكتوب في المصاحف ، المبدوء بسورة الفاتحة والمنتهي بسورة الناس ».

إن «الكلام» جنس شامل لكل كلام، وإضافته إلى «الله تعالى» تميزه من كلام من سواه، سواء أكان من الإنس أم غيرهم.

«المنزّل»: مخرج للكلام الإلهي الذي استأثر به في نفسه، أو ألقاه إلى ملائكته ليعملوا به لا لينزلوه على أحد من البشر؛ إذ ليس كل كلامه تعالى منزلا، بل الذي أنزل منه قليل من كثير، قال الله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كانَ الْبَحْرُ مِداداً لِكَلِماتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِماتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنا بِمِثْلِهِ مَدَداً﴾ (سورة الكهف، الآية 109).

وقال تعالى:﴿ وَلَوْ أَنَّما فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ ما نَفِدَتْ كَلِماتُ اللَّهِ ﴾(سورة لقمان، الآية 27).

وتقييد المنزّل بكونه على «محمد ﷺ» لإخراج ما أنزل على الأنبياء من قبله، كالتوراة المنزلة على موسى، والإنجيل المنزل على عيسى، والزبور المنزل على داود، والصحف المنزلة على إبراهيم، عليهم السلام.

أما قيد «المتعبّد بتلاوته» - أي المأمور بقراءته في الصلاة وغيرها على وجه العبادة- فلإخراج ما لم نؤمر بتلاوته من ذلك، كالأحاديث القدسية، وهي المسندة إلى الله عزّ وجلّ معانيها أما ألفاظها فمن النبي . وأيضا الحديث النبوي الشريف ، ولبيان الفرق نذكر أنه:

(أ) لدينا أولا: القرآن الكريم، بوصفه كلام الله تعالى المنزل أو الموحى به بلفظه ومعناه، أو بوصفه النص الإلهي المبرّأ من التحريف والتبديل.

(ب) ولدينا إلى جانبه: كلام النبيّ ﷺ، أو أقواله وأحاديثه الشريفة، التي لم تختلط بحرف واحد منها بالقرآن الكريم. سواء أكانت أحاديث قدسية أم عادية- مع التنويه بهذه الدقة في التمييز بين هذين النوعين- علما بأن نسبة الأحاديث القدسية ضئيلة إذا ما قيست بسائر أحاديث النبيّ الكريم- صلوات الله وسلامه عليه-. وبغض النظر عن طبيعة موضوعاتها، ودرجة توثيقها عند المحدّثين.

(ج) ولدينا: الصورة الكاملة لأعمال النبيّ ﷺ وحياته اليومية، الخاصة والعامة في السلم والحرب. وقد تضمّنتها كتب (السيرة النبوية) التي يمكن وصفها باختصار بأنها: تاريخ حياة النبيّ عليه الصلاة والسلام.

ونختم لتعريف القرآن بتعريف من القرآن ،قال عز وجل: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعالَمِينَ، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ، عَلى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ، بِلِسانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾(الشعراء 192)

ـــ الكتاب

ويسمى القرآن -أيضًا- الكتاب، ومنه قوله تعالى: ﴿الم، ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ﴾.

ومنه قوله "الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا"(سورة الكهف: 1). "واتل ما أوحي إليك من كتاب ربك"(سورة الكهف:27) الكتاب: قال تعالى: "تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ" يوسف - 2..وسُمي الكتاب: لأنه يُكتَب, كما سُمي الإمام إماما, لأنه يُؤتَمُّ به, وقيل سُمي بالكتاب لأنه مُجتَمع الحروف والكلمات والآيات والسور...وكل ذلك سوف نقف عنده في محاضرة (تاريخ القرآن)

لقد روعي في تسميته قرآنًا كونه متلوًّا بالألسن، كما روعي في تسميته كتابًا كونه مدونًا بالأقلام، فكلتا التسميتين من تسمية الشيء بالمعنى الواقع عليه.

3 ـ تعريف الوحي

ـ الوحي لغة: هو الكلام والإعلام في خفاء ، وكذلك الإشارة والإيماء والكتابة والإلهام والرسالة . وكل ما ألقيته إلى غيرك في سرعة خاطفة حتى فهمه فهو وحي .قال الراغب أصل الوحي الإشارة السريعة وقال ابن فارس : وحي ، يدل على ألقاء في إخفاء أو غيره . فقد قال ابن منظور: هو إعلام في خفاء، ولذلك صار الإلهام يسمى وحيا. وقال الراغب الأصفهاني: أصل الوحي الإشارة السريعة. وإن السرعة والخفاء من سمات الوحي ومزاياه. وقال الآلوسي:

الوحي أصله التفهيم، وكل ما فهم به شيء من الإلهام والإشارة والكتب فهو وحي.

أما الوحي في الشرع: فقد قال الأنباري: إنما سمي وحيا لأن الملك أسره على الخلق وخص به النبي صلى الله عليه وسلم الذي بعثه الله إليه «2». والوحي بمعنى آخر: هو كلام الله تعالى المنزل على نبي من أنبيائه والذي يلقيه الله إلى ملائكته من أمر ليفعلوه، كما قال تعالى: إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا . وقال الزرقاني: الوحي هو أن يعلم الله تعالى من اصطفاه من عباده كل ما أراد اطلاعه عليه من ألوان الهداية والعلم، ولكن بطريقة سوية خفية غير معتادة للبشر.

إن الوحي شرعا: إلقاء الله الكلام أو المعنى في نفس الرسول أو النبي بخفاء وسرعة بملك أو بدون ملك

وقد جاءت كلمة الوحي في القرآن الكريم بمعان مختلفة منها :

* ـ الإلهام الفطري للإنسان: وذلك كالوحي لأم موسى عليه السلام.

قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنا إِلى أُمِّ مُوسى أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾.

* ـ الإلهام الغريزي للحشرات: وذلك كالوحي إلى النحل. قال تعالى:

﴿وَأَوْحى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبالِ بُيُوتاً وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾.

* ـ الإشارة السريعة على سبيل الإيحاء والرمز. وذلك كإيحاء زكريا عليه السلام فيما حكاه القرآن عنه قال تعالى:﴿ فَخَرَجَ عَلى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرابِ فَأَوْحى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾.

*ـ وسوسة الشيطان وتزيينه الشر في نفس الإنسان. قال تعالى: و﴿كَذلِكَ جَعَلْنا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَياطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً﴾ الأنعام 112. وكما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ الشَّياطِينَ لَيُوحُونَ إِلى أَوْلِيائِهِمْ لِيُجادِلُوكُمْ﴾الأنعام 121.

* ـ ما يلقيه الله تعالى إلى ملائكته من أمر ليفعلوه، كما قال تعالى:﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾.

ـــ الوحي اصطلاحا

أما وحي الله لأنبيائه فقد عرّفوه شرعا هكذا: (هو كلام الله تعالى المنزل على نبي من أنبيائه). وهذا تعريف له بمعنى اسم المفعول(الموحي). وقد عرّف الوحي الأستاذ الشيخ محمد عبده في رسالة التوحيد فقال: (هو عرفان يجده الشخص من نفسه مع اليقين بأنه من قبل الله بواسطة أو بغير واسطة)، وقد قال الله تعالى في حق الرسول صلّى الله عليه وسلم:﴿ وَما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحى﴾

إن الوحي هو رسالة الله إلى أنبيائهم وتبليغهم بكل ما يجب عليهم عمله لهداية المجتمع الإنساني

أنواع الوحي :

للوحي أنواع شتى وكذلك الطرق. فمنه ما يكون مكالمة بين العبد وربه كما كلم الله موسى تكليما. ومنه ما يكون إلهاما يقذفه الله في قلب من اصطفاه من خلقه على وجه من العلم الضروري لا يستطيع له دفعا، ولا يجد فيه شكا، ومنه ما يكون مناما صادقا يجيء في تحققه ووقوعه كما يجيء فلق الصبح في تبلجه وسطوعه.

ومنه ما يكون بواسطة أمين الوحي جبريل عليه السلام وهو ملك كريم ذو قوة عند ذي العرش مكين، مطاع ثم أمين. وذلك النوع من الوحي هو أشهر الأنواع وأكثرها، ووحي القرآن كله من هذا القبيل. وهو المصطلح عليه (بالوحي الجلي) قال الله تعالى:﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ* عَلى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ* بِلِسانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾.

الصور التي كان يأتي بها جبريل عليه السلام للنبي ﷺ

صورة جبريل الحقيقية : إن لملك الوحي جبريل عليه السلام صورا شتى يظهر بها. فتارة يظهر للرسول ﷺ في صورته الحقيقية الملكية.وكان ذلك مثلا عندما رآه أول مرة في غار حراء

وتارة يظهر في صورة إنسان يراه الحاضرون ويستمعون إليه ودليله حديث الإسلام والإيمان والإحسان . عن عمر رضي الله تعالى عنه أيضا قال: بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه، وقال: يا محمد، أخبرني عن الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: "الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً"، قال: صدقت. فعجبنا له يسأله ويصدقه قال: فأخبرني عن الإيمان. قال: "أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره"، قال: صدقت. قال: فأخبرني عن الإحسان. قال: "أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك". قال: فأخبرني عن الساعة. قال: "ما المسئول عنها بأعلم من السائل". قال: فأخبرني عن أماراتها. قال: "أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان", ثم انطلق فلبثت مليا، ثم قال: "يا عمر، أتدري من السائل؟ ", قلت: الله ورسوله أعلم. قال: "فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم" رواه مسلم.

و أشد أنواع الوحي.صلصلة الجرس:

وقد جاء في الحديث الشريف الذي رواه البخاري في صحيحه عن عائشة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها قالت: (إن الحارث بن هشام سأل رسول الله صلّى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله كيف يأتيك الوحي؟) فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: «أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشده عليّ فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال. وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول». قالت عائشة: (ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقا). وذلك لأن القرآن ثقيل قال تعالى﴿ إِنَّا سنلقي عَلَيْك قولا ثقيلا﴾

وقد قال الله تعالى في القرآن مخاطبا نبيه صلّى الله عليه وسلم: ﴿لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ* إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ* فَإِذا قَرَأناهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ* ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا بَيانَهُ﴾

4ـ تعريف النبي

النَّبيُّ في القرآن جاء فيه قراءتان (النّبي) والقراءة الأخرى (النبيء) بالهمز ﴿يا أيها النبيّ﴾ ، والقراءة الثانية ﴿يا أيها النبيء﴾ كما هي قراءة نافع وغيره.

وفرق ما بين النبي والنبيء.

فالنبيء: هو مَنْ نُبِّئَ.

والنبي: من صار في نَبْوَةٍ؛ يعني في ارتفاع عن غيره.

فإذاً نقول: (النبي) و (النبيء) هو من اختصه الله ـ عز وجل ـ بالإنباء والوحي، فصار مرتفعاً عن غيره في المقام لأجل ما أوحى الله ـ عز وجل ـ إليه.

أما الرُّسُلْ، الرسول، فظاهرٌ من اللفظ أَنَّهُ أُرْسِلْ.

فلفظ نبيء ونبي من جهة اللغة واللفظ الذي جاء في القرآن هذا فيه الإنباء وفيه الرفعة، والرسول فيه الإرسال.

اختلف العلماء في تعريف النبي والرّسول فقال مِمَّنْ قَالَ بالفرق بينهما:

فقالت طائفة كثيرة من أهل العلم:

إنّ النبي: هو من أُوحِيَ إليه بشرع ولم يُؤْمَر بتبليغه.

والرسول: من أوحِيَ إليه بشرع وأمِرَ بالتبليغ.

فجعلوا الفرق ما بين النّبي والرّسول هو الأمر بالتبليغ.

وقالت طائفة أخرى، وهو قولٌ أيضا مشهور عند عدد من المحققين وهو الذي اختاره ابن تيمية رحمه الله في أول كتاب النبوات أنَّ الرسول والنبي يشتركان في وقوع الإرسال عليهما.

الرسول مُرْسَلْ والنبي مُرْسَلْ لظاهر قوله تعالى {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ} ، فالرسول مُرْسَلْ والنبي أيضا مُرْسَلْ لكن جهة الإرسال مختلفة، قال:

الرسول: يُرْسَلْ إلى قوم يخالفونه في أصل الدين فيأمرهم بالتوحيد وينهاهم عن الشرك.

وأما النبي: فإنه يُرْسَلْ إلى قوم موافقين يُجَدِّدُ بإرساله شِرْعَةَ الرسول الذي أُمروا باتباعه.

مثل أنبياء بني إسرائيل كلما مات نبي خلفه نبي وكُلُّهُم تَبَعْ لموسى عليه السلام.

5 ـ تعريف المعجزة:

أصلها في اللغة مأخوذ من "عجز" قال ابن فارس: العين والجيم والزاء أصلان صحيحان، يدل أحدهما على الضعف، والآخر على مؤخر الشيء. وتطلق (عجز) على:

1- العجز بمعنى:

الضعف تقول "عجزت عن كذا، أعجز أي ضعفت عنه، والعجوز سميت لعجزها في كثير من الأمور قال تعالى: ﴿قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا﴾.

2- العجز بمعنى: مؤخر الشيء والجمع أعجاز، وأعجاز الأمور: أواخرها، وعجز بيت الشعر: آخره والعِجْزَة آخر ولد الرجل..

وصار العجز في التعارف: اسم للقصور عن فعل الشيء وهو ضد القدرة قال تعالى: ﴿أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ﴾.

المعجزةاصطلاحا: هي أمر خارق للعادة ويخرق قوانين الطبيعة وخواص المادة ويفوق طاقات البشر وهو أمارة وعلامة النبوة . وما من نبي إلا وجعل الله له علامة نبوته وإن معجزة النبي صلّى الله عليه وسلم الكبرى كانت (القرآن الكريم) الذي تحدى به النبي صلّى الله عليه وسلم العرب جميعا مع فصاحتهم وبلاغتهم ونبوغهم، فإنهم قد عجزوا عن معارضة القرآن الكريم مع طول باعهم في الفصاحة والبلاغة.

- أنواع المعجزات: تكون المعجزات من جنس ما برع به أهل العصر، ففي عهد موسى عليه السلام برع الناس بالسحر فكانت معجزته العصا:﴿ وَأَوْحَيْنا إِلى مُوسى أَنْ أَلْقِ عَصاكَ فَإِذا هِيَ تَلْقَفُ ما يَأْفِكُونَ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (الأعراف: 117 – 118).

وفي عهد عيسى عليه السلام برع الناس بالطب فكانت معجزته إحياء الموتى بإذن الله.

﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلى والِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْراةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيها فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّناتِ فَقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هذا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾(المائدة: 110)

والمعجزات نوعان:

1 - معجزات حسية: إن كل المعجزات التي كانت قبل النبي محمد ﷺ حسية مشاهدة يحدها الزمان والمكان ويشهد عنها من عاينها فقط ونحن نؤمن بها لأن القرآن أخبرنا بها .

فهي معجزات مؤقتة تزول بوفاة النبي عليه السلام الذي جاء بها مثل عصا موسى، وناقة صالح، وإبطال خاصية الإحراق للنار لسيدنا إبراهيم ﴿قلنا يانار كوني بردا وسلاما على إبراهيم ﴾(الأنبياء 69)

2 - معجزات عقلية:

باقية وهي القرآن الكريم دائمة إلى قيام الساعة، وقد تحدى الله سبحانه وتعالى به الثقلين فقال عز من قائل: قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً (الإسراء: 88).

لقد اجتمع لنبي الإسلام محمد ﷺ شيآن كانا متفرقين ؛ الكتاب والمعجزة فالقرآن هو الكتاب وهو معجزة سيدنا محمد ﷺ

المحاضرة الثانية : تاريخ القرآن

1- نزول القرآن .

أ- بدأ الوحي : لقد أوحى الله إلى نبيه محمد ﷺ وعمره أربعون سنة ، وقد أنزل الله عليه القرآن وهو في غار حراء .وإن الحديث الذي روته عائشة رضي الله عنها يبين كيف بدأ الوحي, عن عَائِشَةَ أُمِّ المُؤْمِنِينَ أَنَّهَا قَالَتْ: أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لاَ يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الخَلاَءُ، وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ - وَهُوَ التَّعَبُّدُ - اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ العَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِهِ، وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا، حَتَّى جَاءَهُ الحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ المَلَكُ فَقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ: «مَا أَنَا بِقَارِئٍ»، قَالَ: " فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ. خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ. اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ﴾ العلق: 2 " فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرْجُفُ فُؤَادُهُ، فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَقَالَ: «زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي» فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، فَقَالَ لِخَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الخَبَرَ: «لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي» فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلَّا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتَكْسِبُ المَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ، فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ العُزَّى ابْنَ عَمِّ خَدِيجَةَ وَكَانَ امْرَأً تَنَصَّرَ فِي الجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الكِتَابَ العِبْرَانِيَّ، فَيَكْتُبُ مِنَ الإِنْجِيلِ بِالعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ، فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: يَا ابْنَ عَمِّ، اسْمَعْ مِنَ ابْنِ أَخِيكَ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: يَا ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَبَرَ مَا رَأَى، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَّلَ اللَّهُ عَلَى مُوسَى، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ»، قَالَ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا. ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ، وَفَتَرَ الوَحْيُ. ثم تتابع الوحي ودام نزول القرآن ثلاث وعشرين عاما ؛ ثلاثة عشر سنة في مكة وعشرة أعوام في المدينة .

ب- نزول القرآن منجما :لقد نزلت الكتب السماوية التي كانت قبل القرآن التوراة والإنجيل والزبور جملة واحدة وأنزل القرآن منجما أي مفرقا فماهي الحكمة من نزوله مفرقا ؟

إن الجواب في القرآن قال الله تعالى : ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا (32) وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا (33) ﴾

يخبر الله بذلك عن تساؤل الكافرين فقد قالوا حين نزل القرآن مفرقًا: هَلاَّ أُنْزِل عليه جملة واحدة؛ كما أُنْزلت التوراة على موسى، والإنجيل على عيسى، والزبور على داود؟ فأجاب الله تعالى أولئك القائلين بقوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾
فهو استئناف لردّ مقالتهم الباطلة، وبيان الحكمة في تنزيله التدريجى، أَي: مثل ذلك التنزيل المفرّق ، ليقوي بذلك التنزيل المفرق فؤادك، فتعيه ويتيسر لك حفظ لفظه، وفهم معانيه، وضبط أَحكامه، والوقوف على تفاصيل ما روعي فيه، مما يحتاج إلى توضيح وبيان، كالتشريعات والمصالح، أَو إلى دحض مطاعن الكافرين وإبطالها بعد حكايتها وعرضها.فكلما جَدَّ جديد نزل منه ما يناسبه، وبُيِّن فيه من الحُكم ما يوافقه، مطابقًا لمقتضى الحال.
و قال تعالى: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾. أخبر الله نبيه أنه فرق له القرآن شيئًا فشيئًا ليقرأه للناس على تُؤَدة .
إن المتلقن إنما يقوى قلبه على حفظ العلم شيئا بعد شئ، وجزءا عقيب جزء، وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا الترتيل: التبيين في ترسل وتثبت، هذا وصف القرآن من ناحية، وجواب ثان من ناحية أخرى. والمعنى: وبيناه تبيينا. والصلة بين البيان وبين التفريق:
أن السورة- أو الآية- عند ما تنزل مع الحادثة أو قبلها مباشرة، أو بعدها أو معها، فإن ذلك أدعى إلى الفهم، وأقوى لمعرفة الحكمة
﴿وَلا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً﴾ أي ولا يأتونك بسؤال عجيب من سؤالاتهم الباطلة ، إلا أتيناك بالجواب الحق الذي لا محيد عنه. وبما هو أحسن معنى ومؤدى من مَثلهم أي من سؤالهم. وقال ابن كثير في تفسير المثل: أي بحجة وشبهة. فصار المعنى عنده: ولا يأتونك بحجة وشبهة إلا أجبناهم بما هو الحق في نفس الأمر، وأبين وأوضح وأفصح من مقالتهم.
- الحكم من نزول القرآن منجما (مفرقا)
الحكمة الأولى: تثبيت فؤاد الرسول ﷺ والمؤمنين أمام ما يواجهونه. و تثبيت فؤاد النبي بتتابع مجيء جبريل .
الحكمة الثانية: أن الفهم للقرآن يكون أعمق، وأن معرفة الحكمة في أحكامه تكون أدق إذا كان تنزل القرآن على حسب الوقائع والحوادث. وفي الْقُرْآنِ أَجْوِبَة عَنْ أَسْئِلَةٍ فَهُوَ سَبَبٌ مِنْ أَسْبَابِ تَفَرُّقِ النُّزُولِ
الحكمة الثالثة: مجابهة شبه الكافرين شبهة وحجة.
أَنزل الله القرآن منجما على النبي الأمى - ﷺ - رعاية له وعناية به، وإشفاقًا عليه حتى لا يلحقه مشقة في حفظه وتدبره وتبليغه، وليستمر الإيناس له برسول ربه جبريل - عليه السلام –

المحاضرة الثالثة: جمع القرآن .

مراحل جمع القرآن الكريم: إن موضوع جمع القرآن الكريم في الكتب الأمهات يقصد به كتابة القرآن كاملا وضم سوره جنبا إلى جنب مرتبة ليصبح كل القرآن في كتاب واحد ، ولجمع القرآن ثلاث مراحل وهي:
المرحلة الأولى : جمع القرآن في عهد النبي ﷺ :
لقد بعث الله النبي ﷺ رسولا خاتما للناس كافة وأنزل عليه القرآن وهو آخر كتب السماء . وكان يختلف عن الكتب السابقة أنه لم يُنزل كتابا مكتوبا مثل التوراة والإنجيل ولكنه أنزل كلاما متْلُوا مسموعا . وكان النبي ﷺ أُمّيّا لا يقرأ ولا يكتب . ولكنه كان حريصا على كتابة القرآن ، فقد اتخذ له جماعة من الصحابة الذين يحسنون الكتابة ليكتبوا له كل ما ينزل من القرآن ومنهم ؛أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وعبد الله بن مسعود وأبي بن كعب ومعاوية بن أبي سفيان وزيد بن ثابت . إن المصادر تشير إلى أن عدد الكتاب تراوح بين ستة وعشرين وثلاثة وأربعين كاتبا ، وكانوا يتناوبون على الكتابة، وكان أكثرهم مداومة على كتابة الوحي زيد بن ثابت رضي الله عنه بعد الهجرة، ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه بعد الفتح.فكان ﷺ كلما نزل عليه شيء من القرآن دعا كاتبا من الكتبة ليكتبه .فكانوا يكتبونه. ويقول لهم : ضعوا

هذا في السورة التي يذكر فيها كذا) روى الإمام الترمذي وأحمد بن حنبل عن زيد بن ثابت رضي الله عنه أنه قال:
(كنا عند رسول الله ﷺ نؤلف القرآن من الرقاع) والرقاع يكون من جلد أو ورق.
وكانت العرب قبل الإسلام وبعده تعرف من وسائل الكتابة أدواتها اللينة كالجلد والورق ولا سيما إذا تصورنا أن مكة كانت مركزا تجاريا مهما تقوم التجارة فيها على توثيق العقود وتدوين الحسابات مثلا :
لقد كتبت صحيفة قريش في مقاطعة بني هاشم وصحيفة صلح الحديبية ورسائل النبي ﷺ إلى الملوك والأمراء لدعوتهم إلى الإسلام على مواد لينة كما تقتضي بذلك الأخبار الموثقة
وقد ورد في قصة إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنهم أن أوائل سورة (طه) كانت مكتوبة في رقعة في بيت فاطمة بنت الخطاب أخت عمر، ولم تكن هذه الصحيفة إلا واحدة من صحف كثيرة متداولة بين المسلمين في مكة
إن جبريل عليه السّلام كان يعارض النبي ﷺ بالقرآن مرة في رمضان من كل عام، وفي العام الذي توفي فيه ﷺ عارضه به مرتين . وشهد هتين العرضتين زيد بن ثابت كاتب النبي ﷺ . وتوفي النبي والقرآن مجموع حفظا في الصدور وكتابة في السطور .

المرحلة الثانية :جمع القرآن في عهد أبي بكر رضي الله عنه:
لم تطل خلافة أبي بكر ولكن أثره كبير فقد جمع القرآن بين لوحين والسبب موت كثير من الصحابة الذين كانو يحفظون القرآن ويعلمونه . فاستشعر سيدنا عمر رضي الله عنه الخطر فأشار على أبي بكر بجمع القرآن ، جمع كتابة . جاء في صحيح البخاري هذا الحديث العضيم الذي يبين عملية الجمع التي كانت في زمن أبي بكر .قال البحاري :
حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ بُنْدَارٌ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عُبَيْدِ بْنِ السَّبَّاقِ، أَنَّ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ قَالَ: " بَعَثَ إِلَيَّ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ مَقْتَلَ أَهْلِ الْيَمَامَةِ، فَإِذَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ عِنْدَهُ فَقَالَ: إِنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ أَتَانِي فَقَالَ: إِنَّ الْقَتْلَ قَدِ اسْتَحَرَ بِقُرَّاءِ الْقُرْآنِ يَوْمَ الْيَمَامَةِ وَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَسْتَحِرَّ الْقَتْلُ بِالْقُرَّاءِ فِي الْمَوَاطِنِ كُلِّهَا فَيَذْهَبَ قُرْآنٌ كَثِيرٌ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَأْمُرَ بِجَمْعِ الْقُرْآنِ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ لِعُمَرَ: كَيْفَ أَفْعَلُ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَقَالَ: هُوَ وَاللَّهِ خَيْرٌ فَلَمْ يَزَلْ يُرَاجِعُنِي فِي ذَلِكَ حَتَّى شَرَحَ اللَّهُ صَدْرِي بِمَا شَرَحَ لَهُ صَدْرَ عُمَرَ وَرَأَيْتُ الَّذِي رَأَى قَالَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّكَ شَابٌّ عَاقِلٌ لَا نَتَّهِمُكَ قَدْ كُنْتَ تَكْتُبُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْوَحْيَ فَتَتَبَّعِ الْقُرْآنَ، فَوَاللَّهِ لَوْ كَلَّفُونِي نَقْلَ جَبَلٍ مِنَ الْجِبَالِ مَا كَانَ أَثْقَلَ عَلَيَّ مِنْ ذَلِكَ، قُلْتُ: فَكَيْفَ تَفْعَلُونَ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ هُوَ وَاللَّهِ خَيْرٌ، فَلَمْ يَزَلْ يُرَاجِعُنِي فِي ذَلِكَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ حَتَّى شَرَحَ اللَّهُ صَدْرِي لِلَّذِي شَرَحَ اللَّهُ لَهُ صَدْرَهُمَا (صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ) ، فَتَتَبَّعْتُ الْقُرْآنَ أَجْمَعُهُ مِنَ الرِّقَاعِ وَالْعُسُبِ وَاللِّخَافِ (يَعْنِي: الْحِجَارَةَ) وَصُدُورِ الرِّجَالِ فَوَجَدْتُ آخِرَ سُورَةِ التَّوْبَةِ (بَرَاءَةَ) مَعَ خُزَيْمَةَ بْنِ ثَابِتٍ:﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ "
قَالَ عَلِي كرم الله وجهه: «أَعْظَمُ النَّاسِ أَجْرًا فِي الْمَصَاحِفِ أَبُو بَكْرٍ فَإِنَّهُ أَوَّلُ مَنْ جَمَعَ بَيْنَ اللَّوْحَيْنِ»
أدوات الكتابة:
(العسب)، بضم العين والسين: جمع عسيب، وهو جريد النخل، كانوا يكشفون الخوص ويكتبون في الطرف العريض. و (اللخاف)، بكسر اللام: جمع لخفة، وهي صفائح الحجارة الرقيقة و (الرقاع): جمع رقعة وتكون من جلد أو ورق. و (الكرانيف)، جمع كرنافة، وهي أصول السعف الغلاظ، و (قطع الأديم): هي الجلد، و (عظام الأكتاف) عظام أكتاف الإبل.
و (الأقتاب) جمع قتب. وهو الخشب الذي يوضع على ظهر البعير ليركب عليه .
غير أن هذا التنوع لا يعني أن الكتابة على تلك المواد الخشنة كانت تشمل أكثر القرآن الكريم، فهنالك أدلة كثيرة تدل على أن المواد اللينة من ورق، أو جلد، كانت من ضمن المواد الأصلية التي كتب عليها القرآن الكريم في زمن النبي ﷺ.
أما القرآن الكريم، فقد كتب في المصاحف بالكتابة العربية المتداولة حاليا والتي تتألف من ثمانية وعشرين حرفا، وكانت تمتاز بمميزات وخصائص، فالحروف ليست معجمة آنذاك ، والحركات غير مرسومة إلى جانب

مميزات أخرى، تتمثل في حذف حروف المد أحيانا، أو رسم التاء المدورة مبسوطة أو وصل بعض الكلمات أو فصلها .....الخ .. وهو مايسمى بالرسم العثماني.

المرحلة الثالثة: جمع القرآن في عهد عثمان رضي الله عنه :

في عهد عثمان بن عفان توسعت أرجاء الدولة الإسلامية وكثر الجهاد وأدى ذلك إلى اجتماع المجاهدين من الأمصار الإسلامية المختلفة . فكان إذا تقدم للصلاة الإمام فيقرأ لا يقبل منه المسلمون الذين لا ينتمون لبلده.

فكان العراقي لا يقبل من الشامي قراءته ولا يقبل الشامي من العراقي قراءته فاختلفوا وتنازعوا وكان ذلك في فتح أذربيجان وأرمينية وكان معهم أمين سر رسول الله (حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ) فَرَكِبَ حُذَيْفَةُ حَتَّى قَدِمَ عَلَى عُثْمَانَ، فَقَالَ: " يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَدْرِكْ هَذِهِ الْأُمَّةَ قَبْلَ أَنْ يَخْتَلِفُوا فِي الْقُرْآنِ اخْتِلَافَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى فِي الْكُتُبِ، فَفَزِعَ لِذَلِكَ عُثْمَانُ، وَأَرْسَلَ إِلَى حَفْصَةَ بِنْتِ عُمَرَ، أَنْ أَرْسِلِي إِلَيَّ بِالصُّحُفِ الَّتِي جُمِعَ فِيهَا الْقُرْآنُ، فَأَرْسَلَتْ بِهَا إِلَيْهِ حَفْصَةُ، فَأَمَرَ عُثْمَانُ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ، وَسَعِيدَ بْنَ الْعَاصِ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ، وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ هِشَامٍ أَنْ يَنْسَخُوهَا فِي الْمَصَاحِفِ، وَقَالَ لَهُمْ: إِذَا اخْتَلَفْتُمْ أَنْتُمْ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ فِي عَرَبِيَّةٍ مِنْ عَرَبِيَّةِ الْقُرْآنِ، فَاكْتُبُوهَا بِلِسَانِ قُرَيْشٍ فَإِنَّ الْقُرْآنَ أُنْزِلَ بِلِسَانِهِمْ، فَفَعَلُوا ذَلِكَ حَتَّى كُتِبَتْ فِي الْمَصَاحِفِ، ثُمَّ رَدَّ عُثْمَانُ الصُّحُفَ إِلَى حَفْصَةَ، وَأَرْسَلَ إِلَى كُلِّ جُنْدٍ مِنْ أَجْنَادِ الْمُسْلِمِينَ بِمُصْحَفٍ جَمِيعًا، فَقَالَ: مَا تَقُولُونَ فِي هَذِهِ الْقِرَاءَةِ؟ فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ بَعْضَهُمْ يَقُولُ: إِنَّ قِرَاءَتِي خَيْرٌ مِنْ قِرَاءَتِكَ ، وَهَذَا يَكَادُ أَنْ يَكُونَ كُفْرًا، قُلْنَا: فَمَا تَرَى؟ قَالَ: نَرَى أَنْ نَجْمَعَ النَّاسَ عَلَى مُصْحَفٍ وَاحِدٍ، «لَمَّا كَتَبَ عُثْمَانُ الْمَصَاحِفَ حِينَ جَمَعَ الْقُرْآنَ، كَتَبَ سَبْعَةَ مَصَاحِفَ، فَبَعَثَ وَاحِدًا إِلَى مَكَّةَ، وَآخَرَ إِلَى الشَّامِ، وَآخَرَ إِلَى الْيَمَنِ، وَآخَرَ إِلَى الْبَحْرَيْنِ، وَآخَرَ إِلَى الْبَصْرَةِ، وَآخَرَ إِلَى الْكُوفَةِ، وَحَبَسَ بِالْمَدِينَةِ وَاحِدًا»

وقال الزرقاني: وعلى هذا الدستور تم جمع القرآن بإشراف أبي بكر وعمر وأكابر الصحابة وإجماع الأمة عليه دون نكير، وكان ذلك منقبة خالدة لا يزال التاريخ يذكرها بالجميل لأبي بكر في الإشراف ولعمر في الاقتراح، ولزيد في التنفيذ، وللصحابة في المعاونة والإقرار

ـ معايير ترتيب سور وآيات القرآن (وقفية أم اجتهادية)

والقرآن الكريم نزل في مدة بلغت ثلاثا وعشرين سنة، وكانوا كلما نزلت آية مفردة أو آيات، حفظتها الصدور ووعتها القلوب، وكان كتاب الله في المحل الأول من عناية صحابة رسول الله ﷺ به، حيث كانوا يتنافسون في استظهاره وحفظه، ويتسابقون إلى مدارسته وتفهمه ويتفاضلون فيما بينهم على مقدار ما يحفظون منه.

والسؤال : كيف رتب الصحابة السور ، هل اجتهدوا في ذلك أم أن الترتيب توقيفي (موكل للنبي ﷺ) لا اجتهاد فيه؟

اختلف العلماء في ترتيب السور على أقوال ثلاثة:

- فالقول الأول: إنه توقيفي، تولاه النبي -ﷺ- كما أخبر به جبريل عن أمر ربه، فكان القرآن على عهد النبي -ﷺ- مرتَّب السور، كما كان مرتب الآيات على هذا الترتيب الذي لدينا اليوم، وهو ترتيب مصحف عثمان الذي لم يتنازع أحد من الصحابة فيه مما يدل على عدم المخالفة والإجماع.

- والقول الثاني: إن ترتيب السور باجتهاد من الصحابة؛ بدليل اختلاف مصاحفهم في الترتيب؛ كمصحف ابن مسعود، ومصحف أبي.

- والقول الثالث: إن بعض السور ترتيبه توقيفي، وبعضه باجتهاد من الصحابة؛ حيث ورد ما يدل على ترتيب بعض السور في عهد النبوة، فقد ورد ما يدل على ترتيب السبع الطوال والحواميم والمفصل في حياته عليه الصلاة والسلام.

وقد ناقش العلماء هذه الآراء الثلاثة، وانتهوا إلى ما يلي:

- أن الرأى الثاني الذي يرى أن ترتيب السور باجتهاد الصحابة لم يستند إلى دليل يُعتمد عليه.

فاجتهاد بعض الصحابة في ترتيب مصاحفهم الخاصة كان اختيارًا منهم قبل أن يجمع القرآن جمعًا مرتبًا، فلما جمع في عهد عثمان بترتيب الآيات والسور على حرف واحد، واجتمعت الأمة على ذلك تركوا مصاحفهم، ولو كان الترتيب اجتهاديًا لتمسكوا بها.

أما الرأى الثالث: الذي يرى أن بعض السور ترتيبها توقيفي، وبعضها ترتيبه اجتهادي، فإن أدلته ترتكز على ذكر النصوص الدالة على ما هو توقيفي، أما القسم الاجتهادي فإنه لا يستند إلى دليل يدل على أن ترتيبه اجتهادي؛ إذ إن ثبوت التوقيفي بأدلته لا يعني أن ما سواه اجتهادي، مع أنه قليل جدًا.

وبهذا يترجح أن ترتيب السور توقيفي كترتيب الآيات.

قال أبو بكر بن الأنباري: "أنزل الله القرآن كله إلى سماء الدنيا، ثم فرقه في بضع وعشرين، فكانت السورة تنزل لأمر يحدث، والآية جوابًا لمستخبر، ويوقف جبريل النبي -ﷺ- على موضع الآية والسورة، فاتساق السور كاتساق الآيات والحروف كله عن النبي -ﷺ- فمن قدم سورة أو أخرها فقد أفسد نظم القرآن
وإن المصاحف كتبت على اللفظ الذي أنزل، وهو الذي استقر عليه في العرضة الأخيرة على رسول الله -صلى الله عليه وسلم-كما عرضها هو على جبريل عليهما الصلاة والسلام، وكل ذلك ثابت في الأحاديث الصحيحة
والدليل على أن ترتيب السور توقيفي أن الصحابة كانوا يقرأون القرآن والنبي يقرأ عليهم بالترتيب الذي أخذوه من النبي ﷺ
جاء في الحديث الصحيح: أن النبي ﷺ قال لأبي بن كعب: (إن الله أمرني أن أقرأ عليك القرآن، قال: آلله سماني؟ قال: نعم، وقد ذكرت عند رب العالمين، قال: وذرفت عيناه واشتهر بين الناس بأن أبيّ أقرؤكم)
وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: (أن رسول الله ﷺ قال له: لو رأيتني البارحة وأنا أستمع لقراءتك؟ لقد أعطيت مزمارا من مزامير آل داود) . وفي رواية الإمام مسلم بزيادة: (لو علمت والله يا رسول الله أنك تسمع لقراءتي لحبرته لك تحبيرا) .
و كان كل حافظ ينشر ما حفظه ويعلمه للأولاد والصبيان، والذين لم يشهدوا النزول ساعة الوحي من أهل مكة والمدينة ومن حولهم من الناس، فلا يمضي يوم أو يومان إلا وما نزل محفوظ في صدور كثيرين من الصحابة، وكان الحفظة والقراء يعرضون على النبي ﷺ ما كانوا يحفظون من القرآن .
إلا أن ترتيبه في الحفظ لم يتغير، لأنه كان ترتيبا توقيفيا من الله تعالى، فقد ورد أن جبريل عليه السلام كان يقول: (ضعوا آية كذا في موضع كذا) ، ولا ريب أن جبريل كان لا يصدر في ذلك إلا عن أمر الله عز وجل، وهناك روايات متنوعة صحيحة كثيرة تدل دلالة قاطعة على أن رسول الله ﷺ وصحابته الكرام كانوا يقرءون القرآن الكريم على هذا الترتيب نفسه الذي يبدأ بسورة الفاتحة وينتهي بسورة الناس.
ومن هنا كان حفاظ القرآن في حياة الرسول ﷺ جما غفيرا من الصحابة الكرام، فمنهم من حفظه كله، ومنهم من حفظ بعضه، ومن هؤلاء الحفاظ المشهورين: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة وسعد وابن مسعود وحذيفة وسالم مولى أبي حذيفة وأبو هريرة وابن عمر وابن عباس وعمرو بن العاص وابنه عبد الله ومعاوية وابن الزبير وعبد الله بن السائب وعائشة وحفصة وأم سلمة، وهؤلاء كلهم من المهاجرين رضي الله عنهم أجمعين.
وحفظ القرآن من الأنصار في حياته ﷺ: أبي بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبو الدرداء ومجمع بن حارثة وأنس بن مالك
إن الاعتماد في نقل القرآن على حفظ القلوب والصدور لا على حفظ المصاحف والكتب، يعد أشرف خصيصة من الله تعالى لهذه الأمة.
ولما خص الله تعالى بحفظه من شاء من أهله أقام له أئمة ثقات تجردوا لحفظه، وبذلوا أنفسهم في إتقانه، وتلقوه من النبي ﷺ حرفا حرفا، لم يهملوا منه حركة ولا سكونا ولا إثباتا ولا حذفا، ولا دخل عليهم في شيء منه شك .
ولعل من أهم العوامل التي ساعدت الصحابة رضي الله عنهم على حفظ كتاب الله وتعلمه هو: وجود الرسول ﷺ بين ظهرانيهم، يحفظهم من الكتاب والسنة ما لم يحفظوه ويعلمهم ما جهلوه، ويجيبهم إذا سألوه .. ، ولا ريب أن هذا عامل مهم ييسر لهم الحفظ ويهون عليهم الاستظهار، ولا سيما إذا لاحظنا أنه ﷺ كان دائم البشر، سهل الخلق، لين الجانب، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب ولا فحاش ولا عياب ...
قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ لِعُثْمَانَ مَا حَمَلَكُمْ عَلَى أَنْ عَمَدْتُمْ إِلَى الْأَنْفَالِ وَهِيَ مِنَ الْمَثَانِي وَإِلَى بَرَاءَةَ وَهِيَ مِنَ الْمَائِينَ فَقَرَنْتُمْ بَيْنَهُمَا وَلَمْ تَكْتُبُوا بَيْنَهُمَا: (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) وَوَضَعْتُمُوهُمَا فِي السَّبْعِ الطِّوَالِ، مَا حَمَلَكُمْ عَلَى ذَلِكَ؟ فَقَالَ عُثْمَانُ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِمَّا يَأْتِي عَلَيْهِ الزَّمَانُ وَهُوَ يَنْزِلُ عَلَيْهِ السُّوَرُ ذَوَاتُ الْعَدَدِ، فَكَانَ إِذَا نَزَلَ عَلَيْهِ الشَّيْءُ دَعَا بَعْضَ مَنْ كَانَ يَكْتُبُ فَيَقُولُ: " ضَعُوا هَؤُلَاءِ الْآيَاتِ فِي السُّورَةِ الَّتِي يُذْكَرُ فِيهَا كَذَا وَكَذَا، وَإِذَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ الْآيَةُ يَقُولُ: «ضَعُوا هَذِهِ الْآيَةَ فِي السُّورَةِ الَّتِي يُذْكَرُ فِيهَا كَذَا وَكَذَا» وَكَانَتِ الْأَنْفَالُ مِنْ أَوَائِلِ مَا أُنْزِلَ بِالْمَدِينَةِ، وَكَانَتْ بَرَاءَةُ مِنْ آخِرِ الْقُرْآنِ وَكَانَتْ قِصَّتُهَا شَبِيهَةً بِقِصَّتِهَا فَظَنَنْتُ أَنَّهَا مِنْهَا، فَقُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَمْ يُبَيِّنْ لَنَا أَنَّهَا مِنْهَا، فَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ قَرَنْتُ بَيْنَهُمَا، وَلَمْ أَكْتُبْ بَيْنَهُمَا سَطْرَ: (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) وَوَضَعْتُهُمَا فِي السَّبْعِ الطِّوَالِ
أهمية معرفة أسرار ترتيب سور القرآن الكريم

ومعرفة ترتيب السور مما يعني على فهم القرآن وتفسيره، وبيان الارتباط بين السور فيما بينها، وبيان إعجاز القرآن الكريم، وأنه من عند الله تعالى، وليس من عند البشر، وأنه محفوظ من الاضطراب من خلال معرفة النسق والاتساق بين سوره وآياته، وأنه خالٍ من التناقض والاختلاف، كما قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدبرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (النساء:82)